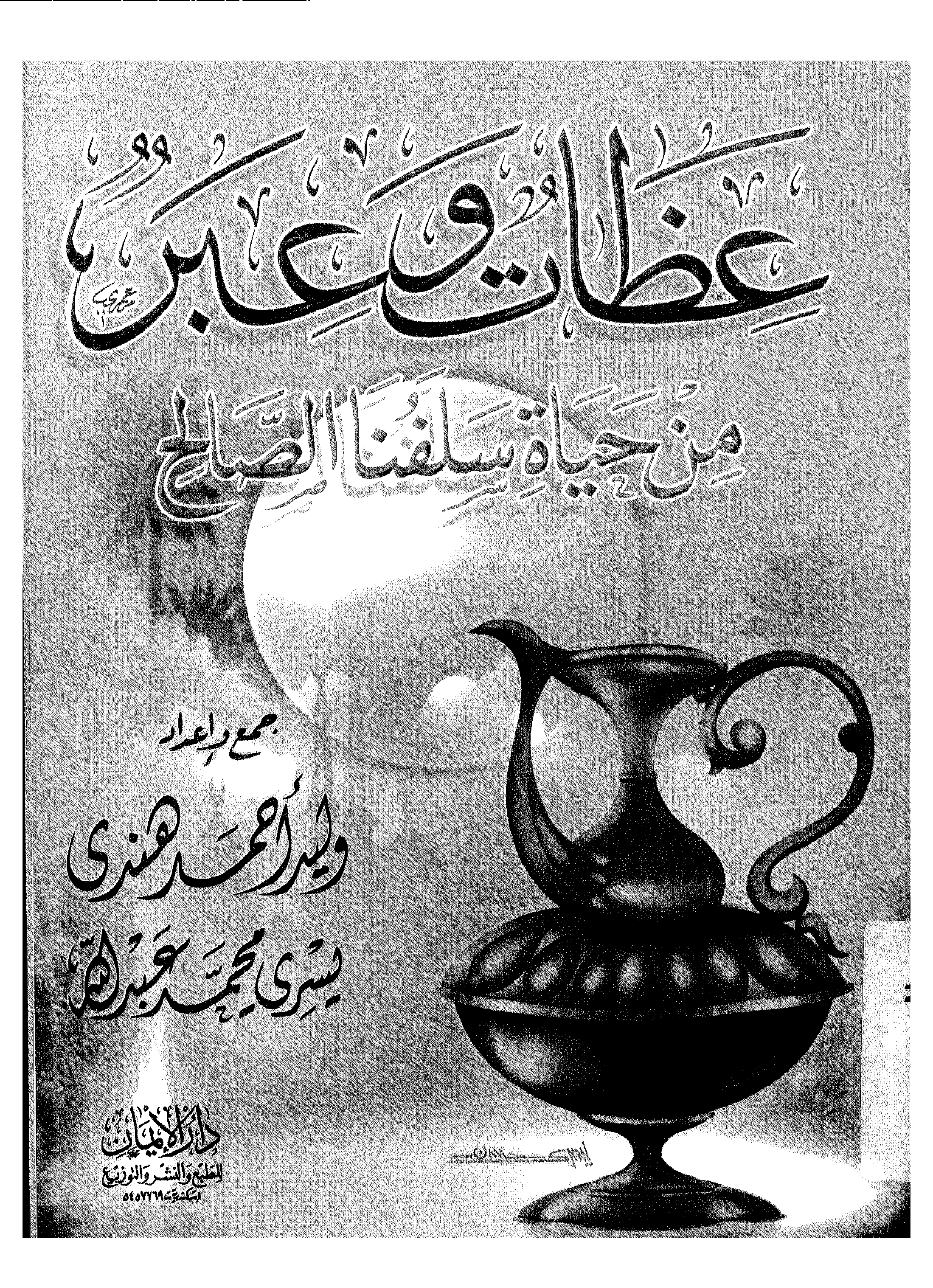

عظات وعبر
من حياة سلفنا الصالح
جمع وإعداد
وليد أحمد هندي
يسري محمد عبد الله
دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩



عظات وعبر
من حياة سلفنا الصالح

جمع وإعداد
وليـــد أحـــمـــد هنـدى
يسرى محمد عبد الله

دار الإيـمـان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

الطبعة الأولى

رقم الإيداع ٤٩٢١ / ٩٧

الترقيم الدولى

977 - 5191 - 39 - 4

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [1] .

قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

---

(١) سورة الفرقان الآيات « ٦٣ – ٧٧ » .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) ﴾ [(١)] .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٢١) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾ [(٢)] .

قال تعالى : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾ [(٣)] .

---

(١) سورة التغابن الآيات « ١١ – ١٨ » .
(٢) سورة الأنفال الآيات « ٢٠ – ٢٥ » .
(٣) سورة التوبة الآيات « ٦٧ – ٦٨ » .

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ (١) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً (٦٢) يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾ (٢) .

(١) سورة التوبة الآيات « ٧١ – ٧٢ » .
(٢) سورة الأحزاب الآية « ٥٧ – ٦٨ » .

من هدي النبوة

عن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله : « **يخرج فى آخر الزمان رجالٌ ، يختلون الدنيا بالدين** – أى ينتزعون خيرات الدنيا ويحصدونها باسم الدين تمويهاً على الناس – **يلبسون للناس جلود الضأن من اللِّين ، ألسنتُهم أحلى من السكر وقلوبُهم قلوب الذئاب ، يقول الله عز وجل : أبي يغترُّون ؟ أم عليَّ يجترئون ؟ فبي حلفتُ لأبعثنَّ على أولئك منهم فتنةً ، تدعُ الحليمَ منهم حيران** » . [أخرجه الترمذى] .

وأخرج الترمذى – حجاجُ الجنّة والنّار ، فقال بسنده :

عن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **احتجّت الجنةُ والنارُ ، فقالت : الجنة : يدْخُلنى الضعفاءُ والمساكين ، وقالت النار : يدخلُنى الجبارون والمتكبرون ، فقال للنار : أنتِ عذابى أنتقمُ بكِ ممن شئتُ ، وقال للجنة : أنتِ رحمتى ، أرحمُ بك مَنْ شئت** » .

أخرج ابن ماجة فى سننه [جـ ٢ ص ٢٦]

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من حاكمٍ يحكُم بين الناس ، إلا جاء يوم القيامة ، وملَكٌ آخذٌ بقَفاهُ ثم يرفع رأسه إلى السماء ، فإنْ قال : ألْقِه ، ألقاهُ فى مهْواةٍ أربعينَ خريفاً** » [أى ألقاه فى هاوية] .

أخرج أبو داود عن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا ضنَّ الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة** (١) **واتّبعوا أذناب**

---

(١) نوع من البيوع الفاسدة والكسب الحرام .

البـقر[1] ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أنزل بهم بلاءً ، فلم يرفعهُ عنهم حتى يُراجعوا دينهم » .

[حديث حسن] .

جاء فى حديث عن رسول الله ﷺ قال : « **من كانت الدُّنيا همَّه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقْرهُ بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتبَ له ، ومن كانت الآخرة نيَّتهُ ، جمع الله لهُ أمرهُ ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتتهُ الدُّنيا وهى راغمة** » .

[ابن ماجة جـ٢ ، ص ٤٠٨] .

الاعتبار بمن سبقنا وقد ترك أمر الله تعالى

أخرج أبو نعيم في الحلية [٢١٦/١] عن جُبير بن نُفير – رضي الله عنه – قال : لما فُتحت قبرص ، فُرِّقَ بين أهلها ، فبكى بعضهم إلى بعض ، ورأيتُ أبا الدرداء – رضي الله عنه – جالساً وحدهُ يبكى ، فقلتُ : يا أبا الدرداء ، ما يُبكيكَ فى يومٍ أعزَّ الله فيه الإسلام وأهلَهُ ؟ قال : ويْحَكَ يا جُبير ، ما أهونَ الخلق على الله إذا هُمْ تركوا أمرهُ ، بينما هى أمةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ ، لهم الملكُ ، تركوا أمْرَ الله فصاروا إلى ما ترى ، فسلّط عليهم السِّباءَ – الأَسْرَ – وإذا سُلِّط السِّباءُ على قومٍ فليس لله فيهم حاجة .

[حياة الصحابة : ٣ / ٦٨١] .

---

(١) أى أصلحوا دنياهم وانشغلوا بها .

شهادة داهية لداهية

أخرج الطبرانى عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية ، فقال صاحبها - ملكها - بعد حديث لعمرو ... إن رسولكم قد صدق ، قد جاءتنا رُسُلنا بمثل الذى جاءكم به رسولكم ، فكنا عليه حتى ظهر فينا ملوك ، فجعلوا يعملون فينا بأهوائهم ، ويتركون أمر الأنبياء ، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحدٌ إلا غلبتموه ، ولم يتناولْكُم أحدٌ إلا ظهرتّم عليه ، فإذا فعلتم مثل الذى فعلْنا ، وتركتم أمْرَ الأنبياء ، وعملتم مثل الذى عملوا بأهوائهم ، خلّى بيننا وبينكم ، فلم تكونوا أكثر منا عدداً ولا أشدَّ منا قوةً ، قال عمرو بن العاص : فما كلمت رجلاً أذْكَرَ منه - أى أرْجَلَ منه - وفى رواية أنْكَرَ منه أى أدهى منه .

[حياة الصحابة : ٦٩٤/٣] .

طلب العز بما أعز الله به

أخرج الحاكم « ٦١/١ » عن طارق بن شهاب ، قال : خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى الشام - ومعنا أبو عبيدة فأتوْا على مخاضة (١) - وعمر على ناقة له ، فنزل عنها ، وخلع خُفّيه ، فوضعهما على عاتقه - منْكبه - وأخذ بزمام ناقته ، فخاضَ بها المخاضة ، فقال أبو عبيدة : يا أميرَ المؤمنين : أأنت

---

(١) موضع الخوض فى الماء .

تفعل هذا ؟! تخلع خُفّيك وتضعهما على عاتقك ، وتأخذُ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة ؟! ما يسرُّني أن أهل البلد استشرفوك – نظروا إليك – فقال عمر : أوَّهْ !! لو يقول ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً – عِبْرَةً – لأمة محمد ﷺ ، إنا كنا أذلَّ قومٍ ، فأعزّنا الله بالإسلام ، فمهما نطلبُ العزَّ بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله .

[حياة الصحابة – ٦٧٩/٣] .

من خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجابية

ذكر في الكنز [٨/ ٢١٠] عن موسى بن عقبة قال : هذه خُطبة عمر بن الخطاب يوم الجابية :

أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه ، الذى بطاعته يُكْرَمُ أولياؤه ، وبمعصيته يَضِلُّ أعداؤه ، فليس لهالكٍ هلك معذرة فى فعل ضلالة حَسِبها هدىً ، ولا فى ترك حقٍ حسبه ضلالة ، وإنّ أحقّ ما تعاهد الراعى من رعيته أن يتعاهدهم بما لله عليهم من وظائف دينهم الذى هداهُمُ له ، وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته ، وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته ، وأن نُقيمَ فيكم أمر الله عزّ وجل فى قريب الناس وبعيدهم ولا نُبالى على مَنْ مالَ الحقُّ ، وقد علمتُ أن أقواماً يتمنّون فى دينهم ، فيقولون : نحن نصلى مع المصلّين ، ونجاهدُ مع المجاهدين ، وننتحل الهجرةَ – أى ندعى الهجرة – وكل ذلك يفعله أقوامٌ لا يحملونه بحقّه ، وإن الإيمان ليس بالتحلّى ، ويقول أقوام : جاهدنا ، وإن الجهاد فى سبيل الله مجاهدة العدو ، واجتناب الحرام ، وقد يقاتل أقوام يُحسنون القتال ، لا يريدون بذلك

الأجْرَ ولا الذِّكْرَ ، وإنما القتلُ حتفٌ [1] من الحتوف ، وإن للناس نفرةً عن سلطانهم ، فعائذ بالله أن يُدركني وإياكم ضغائن - أحقاداً - مَجبولةٌ ، وأهواءَ متَّبعةٌ ، ودنيا مؤثرةٌ ، وقد خشيتُ أن تركنوا إلى الذين ظلموا ، فلا تطمئنوا إلى مَنْ أُوتى مالاً ، عليكم بهذا القرآن ، فإن فيه نوراً وشفاءً ، وغَيرُهْ الشقاء ، وقد قضيت الذى عليَّ فيما ولانى الله عز وجل من أموركم ، ووعظُتكم نُصحاً لكم ، وقد أمرنا لكم بأرزاقكم ، وقد جنّدنا جنودكم ، وهيأْنا لكم مغَازيكم ، وأثبتنا لكمْ منازلكم ، ووسعنا لكم ما بلغ فيؤُكُم - غنائمكم - وما قاتلتم عليه بأسيافكم فلا حُجّة لكم على الله ، بل لله الحجة عليكم ، أقولُ قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

[حياة الصحابة - ٣/٤٤٠] .

موقف عمر بن عبد العزيز من ابنه

حُكى أن بعض أولاده اتخذ خاتماً واشترى له فصّاً بألف درهم ! ، فكتب إليه عمر أمير المؤمنين أما بَعد :

فقد بلغنى أنك اشتريت فصّاً بألف درهم فَبْعهُ وأشْبِعْ به ألفَ جائع ! ، واتخذْ خاتماً من حديدٍ صينى ، واكتبْ عليها :

« رحم الله امرءاً عرف قدْر نفسه » .

[سمير المؤمنين ص ١٤٧] .

---

(١) حتف : موت .

وحُكى أنه لما وُلِّى عمر الخلافة قالت رُعاة الشاءِ فى ذرْوَة الجبال : مَنْ هذا الخليفة الصالح الذى قام على الناس ؟! .

فقيل لهم : وما علمُكم بذلك ؟ قالوا : إذا قام على النأس خليفةٌ صالح ، كُفَّ الذِّئابُ والأُسْدُ عن شائنا .

[سمير المؤمنين – ص ١٤٨] .

حال عمر رضي الله عنه في قبره

حُكى عن رجاء قال : قال لى عمر بن عبد العزيز فى مرضه : كُنْ فيمن يُغسّلنى ، ويُكفِّننى ويدخلُ قبرى ! ، فإذا أوضعونى فى لَحْدي ، فحُلَّ العقدة ، ثم انْظر في وجهي ، فإني قد دَفنتُ ثلاثة من الخلفاء ، كلهم إذا وضعتهُ فى لحْده ، حَلَلْتُ العُقدةَ ، ثم نظرتُ إلى وجهه فإذا وجهُ مُسْوَدٌّ فى غير القبلة !! .

قال رجاء : فلما مات أمير المؤمنين ، فكنت فيمن غسّلهُ ، وكفَّنه ودخل فى قبره ، فلما حللت العقدة نظرتُ إلى وجهه ، فإذا وجهه كالقراطيس (١) فى القبلة .

[سمير المؤمنين – ص ١٤٨] .

---

(١) كالورقة البيضاء الناصعة

وصية السلطان محمد الفاتح لابنه

« ها أنذا أموت ، ولكنى غير آسفٍ ، لأنى تاركٌ خلفاً مثلك .

كُن : عادلاً ، صالحاً ، رحيماً ، وابْسُط على الرعية حمايتك بدون تمييز، واعمل على نشر الدين الإسلامى ، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض .

قدّم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء ، ولا تفتُر فى المواظبة عليه ؛ ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدِّين ، ولا يجتنبون الكبائر ، وينغمسون فى الفحش !وجانب البِدَع المفسدة ؛ وباعد الذين يحرضُونك عليها.

وَسِّعْ رقعةَ البلاد بالجهاد ، واحرُس أموال بيت المال من أن تُتَبَدَّدَ . إياك أن تمد يدك إلى مال أحدٍ من رعيتك إلا بحق الإسلام ، واضمن للمعوزين قُوتَهم ، وابذل إكرامك للمستحقين .

وبما أن العلماء هم بمثابة القوة المبثوثة فى جسم الدولة ، فعظِّم جانبهم وشجّعهم ، وإذا سمعت بأحدٍ منهم فى بلدٍ آخر ، فاستقْدِمهُ إليك ، وأكرمه بالمال ! .

حَذارِ ، حَذارِ ! لا يغرنَّكَ المالُ ولا الجند ! وإيَّاك أن تُبْعِدَ أهل الشريعة عن بابك ، وإياك أن تميل إلى أى عمل يُخالف أحكام الشريعة ؛ فإن الدِّين غايتنا ، والهداية منهجنا ، وبذلك انتصرنا ! .

خُذْ منى هذه العبرة ! حضرتُ هذه البلاد كنملة صغيرة ، فأعطانى الله تعالى هذه النِّعم الجليلة ! ، فالْزَمْ مسلكى ، واحذُ حذْوى ، واعمل على تعزيز هذا الدين وتوقير أهله ، ولا تصرف أموال الدولة فى ترفٍ أو لَهْوٍ ، أو أكثر من قدر اللزوم ، فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك » .

[سمير المؤمنين – ص ١٩] .

مواعظ العلماء المخلصين

قال سعيد بن عامر لعمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - : إنى موصيك بكلماتٍ من جوامع الإسلام ومعالمه : اخش الله فى الناس ، ولا تخش الناس فى الله ، ولا يخالف قولُك فعلَك ، فإنّ خير القول ما صدّقه الفعل وأحبّ لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحبُّ لنفسك وأهل بيتك ، وخُضِ الغَمَرات [1] إلى الحق حيث علمتَه ، ولا تخفْ فى الله لومةَ لائم .

قال : ومن يستطيع ذلك يا سعيد ؟ .

قال : من رُكِّبَ فى عنقه مثلُ الذى رُكِّبَ فى عنقك ، أى الأمانة .

وقال قتادة : خرج عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من المسجد ومعه الجارود ، فإذا امرأةٌ برْزة [2] - جليلة - على ظهر الطريق ، فسلّم عليها ، فردّتْ عليه ، فرد عليها ، فقالت : هيهْ يا عمر ، عهدتُك وأنت تُسمى عُميراً فى سوق عكاظ تصارعُ الصبيان ، فلم تذهب الأيام حتى سُمّيتَ عمراً ، ثم لم تذهب الأيام حتى سُمّيت أمير المؤمنين ، فاتقِ الله فى الرّعية ، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوْت ، فبكى عمر - رضي الله عنه - فقال : الجارود : هيه ، قد اجترأتِ على أمير المؤمنين وأبكيْته .

فقال عمر : دعها ، أما تعرفُ هذه ؟ هى خَوْلَةُ بنتُ حكيمٍ ، التى سمع الله قولَها من فوق سماواته ، فعمرُ والله أحرى أن يسمع كلامها .

[مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص ١٤٣-١٤٤] .

---

(١) الغمرات : شدائد الموت .

(٢) تبرز وتجلس للناس وتوصف بالجهارة والعقل .

موعظة صادقة

دخل سليمان بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثاً ، فقال : أما هاهنا رجلٌ ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ يحدثنا ؟ .

فقيل له : ها هنا رجل يُقالُ له : أبو حازم ، فبعث إليه ، فجاء .

فقال سليمان : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ فقال أبو حازم : وأى جفاءٍ رأيت منى ؟ فقال له : أتاني وجوهُ المدينة كلهم ولم تأتني ؟! فقال : ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك عليها ، قال : صدق الشيخ ، يا أبا حازم ، ما لنا نكرهُ الموت ؟ قال : لأنكم عمّرتُم دنياكم وخرّبتم آخرتكم ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب ، قال : صدقت يا أبا حازم ، فكيف القدوم على الله تعالى ؟ .

قال : أما المحسنُ فكالغائب يَقدُمُ على أهله فرحاً مسروراً ، وأما المسيءُ فكلآبق - العبد الهارب - يقدم على مولاه خائفاً محزوناً ، فبكى سليمان وقال : ليت شعرى ، ما لنا عند الله يا أبا حازم ؟ فقال أبو حازم : اعرضْ نفسك على كتاب الله ، فإنك تعلم ما لَكَ عند الله ، قال : أبا حازم ، وأنّى أصيبُ تلك المعرفة من كتاب الله ؟ .

قال : عند قوله : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ (١) ، قال : يا أبا حازم ، فأين رحمة الله : قال : ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الانفطار الآيات « ١٣ ، ١٤ » .
(٢) سورة الأعراف الآية « ٥٦ » .

قال : يا أبا حازم مَنْ أعقلُ الناس؟ قال : مَنْ تعلم الحكمة وعلّمها الناس.

قال : فمن أحمقُ الناس؟ قال : من حطّ نفسه في هوى رجلٍ وهو ظالم، فباعَ آخرتَه بدنيا غيرِه .

قال : يا أبا حازم ، فما أسمع الدعاء ؟ قال : دعاء المُخْبِتين - أي الخاشعين - .

قال: فما أزكى الصدقة ؟ قال: جُهْدُ المُقِلّ، أي قدر ما يحتمله قليل المال.

قال : يا أبا حازم ، ما تقول فيما نحن فيه ؟ قال : اعفني من هذا .

قال سليمان : نصيحةٌ تُلقيها . قال أبو حازم : إن ناساً أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورة المسلمين ، ولا إجماع من رأيهم ، فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ، ثم ارْتحلوا عنها ، فليتَ شعْري ، ماقالوا ؟ وما قيل لهم ؟ فقال بعض جلسائهم : بئس ما قلت يا شيخ ، فقال أبو حازم : كذبت ، إنّ الله أخذ ميثاق العلماء ليبيّننه للناس ولا يكتمونه .

قال سليمان : يا أبا حازم ، أصبحنا تُصيب منّا ونُصيب منك ، قال : أعوذ بالله من ذلك ، قال : ولِمَ ؟ قال : أخافُ أن أرْكَنَ [(١)] ، إليكم شيئاً قليلاً ، فيُذيقني ضعف الحياة وضعف الممات .

قال : فأشِرْ عليّ . قال : اتقِ الله أن يراكَ حيثُ نهاك ، أو يفقدكَ حيث أمرك .

قال : يا أبا حازم ، ادعُ لنا بخير . فقال : اللهم إن كان سليمان وليَّكَ فيسِّرهُ للخير ، وإن كان غير ذلك ، فخذْ إلى الخير بناصيته ، فقال : يا غلام ، هاتِ مئة دينارٍ ، ثم قال : خذ هذا يا أبا حازم . قال : لا حاجة لي به ،

(١) أركن : أي أميل إليكم .

لى ولغيرى فى هذا المال أسوةٌ ، فإنْ واسَيْتَ بيننا – عدلت بيننا – وإلا فلا حاجة لى فيها .

قال أبو حازم : إن بنى إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراءُ تحتاج إلى العلماء وكانت العلماءُ تفرُّ بدينها منهم ، فلما رأى ذلك قوم من أذِلَّة الناس تعلموا ذلك العلم ، وأتْوا به الأمراء ، واجتمع القومُ على المعصية ، فسقطوا وانتكسوا ، ولو كان العلماء يصونون دينهم وعلمّهم ، لم تَزَلِ الأمراء تهابهُم .

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف لابن قدامة ١٤٤ – ١٤٦] .

أعرابي صادق

وحُكى أن أعرابياً دخل على سليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى مكلمك بكلام فاحْتمِلْهُ ، وإن كرهتَهُ فإنِ وراءَهُ ما تحبُ إنْ قبِلْتَهُ .

قال : قل . قال : يا أمير المؤمنين ، إنه قد اكْتنفَكَ رجال – أحاط بك رجال – ابتاعوا دنياك بدينهم ، ورِضاك بسخط ربهم ، خافوك فى الله ولم يخافوه فيك ، خربوا الآخرة وعمّروا الدنيا فهم حرب للآخرة ، سلْم للدنيا ، فلا تأمنْهُم على ما ائْتمنك الله عليه ، فإنهم لم يألوا الأمانة تضييعاً والأمة خَسْفاً – أى ضيعوا الأمانة وأهلكوا الأمة –وأنت المسؤول عما اجْترحوا – اكتسبوا – وليسوا بمسؤولين عما اجْترحت ، فلا تُصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غُبْناً – أى نقصاً – بائعٌ آخرتهُ بدنيا غيره .

[مختصر منهاج القاصدين – ١٤٦] .

العلماء المخلصون لا تأخذهم في الله لومة لائم

وعن الأوزاعى– رحمه – الله قال : بعث إليَّ المنصور وأنا بالساحل فأتيتُهُ، فلما وصلت إليه وسلّمتُ عليه ، استجلسنى ، ثم قال : ما الذى أبطأك يا أوزاعي ؟ قلت : وما الذى تريد يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريد الأخْذَ عنكم والاقتباس منكم .

قلت : فانظرْ يا أمير المؤمنين إنْ تسمع شيئاً ثم لا تعمل به ، فصاح بى الربيعُ وأهوى بيده إلى السيف ، فانْتهرهُ المنصور وقال : هذا مجلسُ مثوبةٍ لا مجلس عقوبة ، فطابتْ نفسى وانبسطتُ فى الكلام – أى الأوزاغي – فقلت : يا أمير المؤمنين ، حدثّنى مكحول عن عطية بن بشر قال : قال رسول الله ﷺ : « **أيما والٍ مات غاشاً لرعيته حرّمَ الله عليه الجنة** » يا أمير المؤمنين ، كنت فى شُغْلٍ شاغلٍ من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكُهم ، أحمرهم وأسودهم ، ومسلمهم وكافرهم ، وكل له عليك نصيبٌ من العدْل ، فكيف بك إذا انبعث منهم فئامٌ وراءَ فئامٍ – أى جماعة [(١)] – ليس منهم أحدٌ إلا وهو يشكو بَلية أدخلْتَها عليه ، أو ظُلامةً سُقْتَها إليه ، يا أمير المؤمنين حدثنى مكحول عن زياد بن حارثة ، عن حبيب بن سلمة ، أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه ، فى خدْش خدَشَهُ أعرابياً لم يتعمّدْهُ ، فأتاه جبريل فقال : يا محمد إنّ الله تعالى لم يَبْعثك جباراً ولا متكبراً ، فدعا عليه الصلاة والسلام الأعرابى ، فقال : اقتص مني » فقال الأعرابى : قد أحلَلْتُكَ ، بأبى أنت وأمى ، وما كنتِ لأفعلَ ذلك أبداً ، ولو أتيْتَ على نفسى– أى أهلكتها –

(١) الفئام : الجماعة الكثيرة من الناس .

فدعا له بخير .

يا أمير المؤمنين ، رضِّ نفسك لنفسك وخُذْ لها الأمان من ربك .

يا أمير المؤمنين ، إنَّ المُلْكَ لو بقى لِمنْ قبلك لم يصل إليك ، وكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك .

يا أمير المؤمنين ، بلغنى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : لو ماتت سخلةٌ - أى غنمةٌ - على شاطئ الفرات ضيعةً ، لخشيت أن أُسألَ عنها ، فكيف بمن حُرِمَ عَدْلَكَ وهو على بساطِك ؟ .

يا أمير المؤمنين ، قد سأل جَدُّكَ العباس رسول الله ﷺ إمارةً على مكة أو الطائف أو اليمن ، فقال له النبى ﷺ : « يا عَمْ ، نفسٌ تُنجيها خيرٌ من إمارةٍ لا تُحصيها » .

ثم أمر المنصور للأوزاعي بمالٍ يستعينُ به على خُروجه، فلم يقبلْهُ ، وقال : أنا فى غنى عنه ، وما كنت لأبيعَ نصيحتى بعرض الدنيا كلها - أى متاعها -.

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف - ١٥٠] .

باب في ذم البخل والحرص والطمع

اعلم أن المال لا يُذَمُّ لذاته بل يقعُ الذم لمعنى من الآدمى ، وذلك المعنى إما شدّةُ حِرْصِه أو تناوُلُه من غير حلّه ، أو حبسُه عن حقه ، أو إخراجُه في غير وجهه ، أو المفاخرة به ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) .

وكان عمر - رضي الله عنه - إذا رأى الفُتوح يبكي ويقول : ما حبَسَ الله هذا عن نبيِّه وعن أبى بكر لشرٍ أراده بهما ، وأعطاه عمرَ إرادةَ الخير له .

وقال يحيى بن معاذ : مُصيبتان للعبد فى ماله عند موته لا تسمعُ الخلائقُ بمثلهما ، قيل : ما هما ؟ .

قال : يُؤخذُ منه كله ، ويُسْأَلُ عنه كله .

ويُمدحُ المالُ إذا كان سبباً إلى مصالح الدين والدنيا ، وقد سماهُ الله خيراً ، وهو قوامُ الآدمى .

قال تعالى : ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (٢) .

ينبغى لِمَنْ فقد المال أن يستعمل القناعة ، ولِمَنْ وجدهُ أن يستعمل السخاء والإيثار واصطناع المعروف ، فإن السخاءَ من أخلاق الأنبياء ، وهو أصلٌ من أُصول النجاة .

صح عن النبى ﷺ أنه كان أجود بالخير من الريح المُرْسلَة ، وأنه ما سُئِل شيئاً قط فقال : لا .

---

(١) سورة التغابن الآية « ١٥ » .
(٢) سورة النساء الآية « ٥ » .

واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التي في السُّوق بتسعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع بُكاءَ أهل خالد ، فقال لأهله : ما هؤلاء ؟ قالوا : يبكون على دارهم ، قال : يا غلام ائْتِهِمْ فأعلمهُمْ أن الدار والمال لهم جميعاً .

من حياة الأسخياء

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضَيْعة له - أرض نخيل - فنزل على نخل لقوم فيها غلامٌ أسود يعمل فيها ، إذ أتى الغلام بقُوتِه - بطعامه - فدخل الحائط « البستان » كلبٌ ، فدنا من الغلام فرمى إليه قرصاً - من الخبز - فأكله ، ثم رمى إليه قرصاً آخر فأكله ، ثم رمى إليه الثالث فأكله ، وعبد الله ينظر فقال : يا غلام ، كم قوتك كل يوم ؟ قال : ما رأيت ، قال : فلمَ آثرتَ به هذا الكلاب ؟ قال : ما هى بأرض كلاب ، جاء من مسافةٍ بعيدةٍ جائعاً فكرهت ردَّه . فقال : فما أنت صانع ؟ قال : أطْوي - أجوع - يومي هذا ، فقال عبد الله بن جعفر : أُلامُ على السخاء وهذا أسخى منى ، فاشترى الحائط وما فيه من الآلاتِ ، واشترى الغلامَ وأعتقهُ ووهبَهُ له - أى البستان - .

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف ٢١٣ - ٢٢٤ -] .

أخرج البخارى عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن رجلاً فيمن كان قبلكم ، أتاه الملكُ ليقبض رُوحه ، فقيل له : هل عَملتَ من خير ؟ قال : ما أعلم ، قيل له : انظر ، قال : ما أعلم شيئاً ، غير أنى كنت أبايعُ الناس فى الدنيا ، فأجازيهم ، فأُنْظِرُ الموسرَ ، وأتجاوزُ عن

المعْسِر ، فأدخلَهُ الله الجنة » .

عن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبى ﷺ إن الله تعالى يقول : « يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتى ، أملأ صدرك غنىً ، وأسدَّ فقرك ، وإلا تفعل ملأتُ يديك شُغْلاً ، ولم أسُدَّ فقرك » .

[أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب] .

عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : « أنْفِقْ يا ابن آدم ، أُنْفِقْ عليك » .

[أخرجه البخارى] .

بيان علامات حُسن الخلق

حُسن الخلق هو مجموع صفات المؤمنين ، وقد وصفهم الله تعالى فى آياتٍ كثيرة منها : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١) ، وفى قوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (٢) .

وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمنين بصفاتٍ كثيرة ، وأشار بها إلى محاسنِ الأخلاق ، جاء في الحديث : « **أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم أخلاقاً** » .

ومن حسن الخُلُق احتمالُ الأذى ، ففى « الصحيحين » أنّ أعرابياً جذبَ رداءَ النبى ﷺ حتى أثّرتْ حاشيتُهُ فى عاتقه ﷺ ثم قال : يا محمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفتَ إليه رسول الله ﷺ ، ثم ضحكَ، ثم أمرَ له بعطاء.

وكان أُويس القَرنى إذا رماهُ الصبيان بالحجارة يقول : يا أُخوتاه ، إن كان ولابُد ، فارمونى بالصغار لئلا تدموا ساقى فتمنعونى من الصلاة .

وخرج إبراهيم بن أدهم سلطان العلماء إلى بعض البرارى ، فاستقبلَه جندىٌ فقال: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة ، فضرب الجندى رأسهُ فشجّهُ (٣) ، لظنه أنه يستهزئ به ، فلما أُخبر أنه إبراهيم ، جعل يُقبّلُ يدهُ ورجلَهُ ، فقال إبراهيم : إنه لما ضرب رأسى ، سألتُ الله له الجنة ، لأني علمت أنى أُوجَرُ بضربه إياى ، فلم أُحبَّ أن يكون نصيبى منه الخير ، ونصيبُه منى الشر .

[مختصر منهاج القاصدين - ١٧٠] .

---

(١) سورة الأنفال الآية « ٢ » .
(٢) سورة الفرقان الآية « ٦٣ »
(٣) فأصابه بجراح .

رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ ﴾ [1] .

من أراد الوقوف على عيب نفسه ، فله في ذلك أربع طرق :

الطريقة الأولى :

أن يجلس بين يدى عالمٍ بصيرٍ بعيوب النفس ، يُعرِّفه عيوب نفسه وطرائق علاجها .

الطريقة الثانية :

أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً مُتديْناً وينصبه رقيباً على نفسه لينبهه على المكروه من أخلاقه وأفعاله .

وقد كان عمر أمير المؤمنين يقول : رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا ، وكان يسألُ حذيفة : هل أنا من المنافقين ؟ وهذا لأن كل منْ علَتْ مرتبتُهُ في اليقظة زاد اتهامُهُ لنَفْسِه .

الطريقة الثالثة :

أن يستفيد عيوبَ نفسه من ألسنة أعدائه ، فإن عين السخط تبدى المساوى.

الطريقة الرابعة :

أن يُخالط الناس ، فكل ما يراهُ مذموماً فيما بينهم يجتنبه .

[مختصر منهاج القاصدين - ١٧١]

---

(١) سورة الشمس : الآية « ٩ » .

من سيرة علمائنا العاملين المخلصين

حُكى أن الإمام المزنى دخل على الإمام الشافعى فى مرضه الذى مات فيه ، فقال : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فأجابه قائلاً :

أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولسيّئ عملي مُلاقياً ، ولكأس المنيّة شارباً ، وعلى ربى تبارك وتعالى وارداً ، لا أدرى : تصير روحى إلى الجنّة فأهنّيها ، أو إلى النار فأُعزّيها .... .

[سمير المؤمنين – ١٥٧] .

وسمع الإمام الشافعى مرة من الحارث بن لبيد فى مكة المكرمة على الصّفا يقرأُ قوله تعالى : ﴿ **هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦)** ﴾ [1] ، فتغير لونه ، واقْشعرّ جلدهُ ، واضطرب اضطراباً شديداً ، وخرّ مغْشيّاً عليه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ من مقام الكاذبين ، وإعراض الغافلين ، اللهم لك خضعت قلوبُ العارفين ، وذلّتْ لك رقابُ المشتاقين ، إلهى ! هَبْ لى جُودكَ ، وجلّلني بسترك! واعفُ عن تقصيرى بكرَم وجْهكَ !.

---

(١) سورة المرسلات الآيات « ٣٥ ، ٣٦ » .

باب الحقد والحسد

اعلم أن الغيظ إذا كُظم عن التشفى فى الحال رجَع إلى الباطن ، فاحْتقن فيه فصار حِقداً ، وعلامته دوامُ بغض الشخص واستثقاله والنفور منه ، فالحقدُ ثمرةُ الغضب والحسدُ من نتائج الحقد .

عن الزبير بن العوام – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم الحسدُ والبغضاء** » .

قال ابن سيرين : ما حسدتُ أحداً على شيْئ من أمر الدنيا ، لأنه إنْ كان من أهل الجنة ، فكيف أحسدهُ على شيء من أمر الدنيا ، وهو يَصيرُ إلى الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسدهُ على أمر الدنيا وهو يصيرُ إلى النار .

علاج الحسد :

تارةً بالرضى والقضاء ، وتارةً بالزهد فى الدنيا ، وتارة بالنظر فيما يتعلق بتلك النِّعم من هُموم الدنيا وحساب الآخرة .

والحسدُ له أسباب :

أحدها : العداوة ، والعُجْبُ ، والتّكبر ، وحبُ الرياسة ، وخبثُ النفس وبُخلها ، والحقد يقتضى التّشفى والانتقام ، فمهما أصابَ عدوه من البلاء فرح بذلك ، وظنّهُ مكافأةً من الله تعالى له ، ومنْشأُ جميع ذلك حب الدنيا ، فإن الدنيا هى التى تضيق على المُتزاحمين ، وأما الأخرة فلا ضيق فيها .

واعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تُداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل ، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك فى الدّين والدنيا ، وأنه لا يضر المحسود فى الدّين ولا فى الدنيا ، بل

ينتفع به ، فإذا تأملت ما ذكرنا علمت أنك عدوٌ لنفسك ، وهو صديق لعدوِّكَ، وقد كان جماعةٌ من السَّلف إذا بلغهم أن شخصاً اعتابهم ، أهدوا إليه هديَّةً ، فهذه أدويةٌ نافعةٌ للحسد جداً ، إلا أنها مُرَّةٌ .

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف - ٢٠١ ، ٢٠٨] .

اتق دعوة المظلوم

أخرج أبو نعيم في الحلية [١/ ٩٦] عن ابن عمر -رضي الله عنهما - : أن مروان أرسل إلى سعيد بن زيد - رضي الله عنه - ناساً يُكلِّمونه في شأن أروى بنت أُويس وخاصمَتْه في شيء .

فقال : يرونى أظْلِمها ؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **مَنْ ظَلَمَ شِبْراً من الأرض طُوِّقَهُ يوم القيامة من سبع أرضين** » اللهم إنْ كانتْ كاذبةً فلا تمِتْها حتى يعمى بصرها ، وتجعل قبرها في بئرها ، قال : فوَالله ما ماتت حتى ذهب بصرها ، وخرجت تمشي في دارها وهي حَذِرةٌ فوقعت في بِئرها ، وكانت قبرَها أي البئر .

[حياة الصحابة - ٣/٥٥٣] .

من شمائل النبي ﷺ

مشاركة النبى ﷺ أمته :

اشتكت إليه فاطمة بنته ما تلقاه من أعمال البيت من شدة وعناء ، وطلبت إليه أن يخدمها خادماً – يعطيها خادماً – فرفض – عليه السلام – ذلك وقال لها : **لا أعطيك وأدع أهل الصفة** – فقراء المهاجرين – **تطوى بطونهم من الجوع** .

[رواه الإمام أحمد]

إلى الذين يزينون بيوتهم وقصورهم :

أتى النبىُّ ﷺ بيت فاطمة ليزوره ، ثم عدل فلم يدخل عليها ، فبعث عليّاً ليسأل عن سبب عدوله عن زيارتها ، فأجابه الرسول ﷺ : **إنى رأيت على بابها ستراً موشياً !** – أى قماشاً ملوناً وعليه رسوم – فعاد علي إلى فاطمة فأخبرها الخبر ، فقالت فاطمة : لتأمرني فيه بما شاء ، فقال عليه السلام : **لترسلى به إلى فلان أهل بيت بهم حاجة** – أى فاقة وفقر – .

[رواه البخارى] .

خطب ومواعظ

أبو بكر الصديق رضي الله عنه فى خطبة الخلافة :

« إنى قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإنْ أحسنتُ فأعينوني ، وإنْ أسأت فقوِّمونى ، والضعيفُ فيكم قوي حتى آخذَ له الحق ، والقوي فيكم ضعيفٌ عندى حتى آخذَ منه الحق ، لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلا ضربَهم الله بالذُّلّ ، ولا تشيع الفاحشة فى قومٍ قطُّ إلا عمَّهم بالبلاء .

[عظماؤنا فى التاريخ – ص ١١٥] .

عمر الفاروق - رضي الله عنه - يخطب قائلاً :

اقرؤوا القرآنَ تُعرفوا به ، واعلموا به تكونوا من أهْله ، وزنوا أنفُسكم قبل أن تُوزَنوا ، وتزيّنوا للعَرضْ الأكبر ، ألا وإني أنْزلتُ نفسي من مال الله - أى من مال الرعية - بمنزلةِ وليّ اليتيم ، إن اسْتغنيْتُ عَففْتُ ، وإنْ افتقرتُ أكلتُ بالمعروف .

[حياة الصحابة ٣/٤٤٢] .

ومن أقواله لجنده :

« لا تقولوا إن عدونا شرٌ منّا فلن يُسلط علينا ، فَرُبَّ قومٍ سُلِّطَ عليهم شرٌ منهم كما سُلطَ على بنى إسرائيل كفارُ المجوس ... » .

[عظماؤنا فى التاريخ - ١٤٦] .

وصية عليّ رضي الله عنه لكميل بن زياد :

يا كميل بن زياد ! القلوبُ أوعيةٌ فَخيْرُهَا أوْعاها ، احفظْ ما أقولُ لك .

الناس ثلاثة : فعالِمٌ ربانى ، ومتعلمٌ على سبيل نجاةٍ ، وهمجٌ رُعاعٌ أتباعُ كل ناعِقٍ - أى واعٍ بغير هدى - يميلون مع كل ريحٍ - أى مع الهوى - لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى رُكْنٍ وثيق .

[عظماؤنا فى التاريخ - ١٩١] .

ويقول مُحّذراً من سفك الدماء :

« إياك والدماء وسفكها بغير حلّها ، فلا تُقَوّينَّ سُلْطانكَ بِسفْكِ دمٍ حرامٍ ، فإنّ ذلك مما يُضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ... .

[عظماؤنا فى التاريخ - ١٩٦] .

مع أبى الدرداء - رضي الله عنه - :

قال : إذا نابذتَ الناسَ نبذوك وإنْ تركتَهُم لم يتركوك ، وإن هربْتَ منهم أدركوك ، فهبْ عوضك ليوم فَقْرِك - أى يوم الحساب - .

[عظاؤنا فى التاريخ - ٢٠١] .

وقال : اتقـوا الله واحـذروا غِمارَ الناس ، فإنهم ما رَكبوا ظهْر بعيرٍ إلا أدبروهُ ، ولا ظهر جوادٍ إلا عقروهُ ، ولا قلبَ مؤمنٍ إلا خرّبوهُ .

[عظماؤنا فى التاريخ - ٢٠٣] .

خطبة عمر بن عبد العزيز عند توليه الخلافة

لما دُفِنَ سليمان بن عبد الملك ، سمع عمر بن عبد العزيز للأرض رجّةً ، فقال : ما هذه ؟ فقيل : هذه مراكبُ الخلافة قد قُرّبتْ إليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما لى ولَها ! وسار وسارَ والناس معه حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، واجتمع إليه الناس ، فقال :

« يا أيها الناس : إنى قد ابتُليتُ بهذا الأمر عنْ غْير رأيٍ كان منى فيه ، ولا طلْبَةٍ لَهُ ، ولا مشـورةٍ من المسلمين ، وإنى قد خَلَعْتُ ما فى أعناقكم مَنْ بيْعَتى ، فاختاروا لأنفسكم » .

فصاح الناس صيْحة واحدة ، قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك ، فلما هـدأت الأصـوات ، حمدَ الله ، وأثنى عليه ، وصلّى على النبى ، وقال : « أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خَلَفٌ من كُلّ شيء ، وليس من تقوى

الله عز وجل خلفٌ ، واعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاهُ الله تبارك وتعالى أمر دُنياه ، وأصلحوا سرائركم ، يُصلح الله الكريم علانيتكم ، وإنّ من يَذْكُر من آبائه فيما بينه وبين آدم أباً حيّاً لمُعْرقٌ فى الموت ، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها عز وجل ، ولا فى نبيها « ﷺ » ولا كتابها ، وإنما اختلفوا فى الدّينار والدّرهم ، وإنى والله لا أُعْطى أحداً باطلاً ، ولا أمنعُ أحداً حقاً ، وإنى لستُ بخازنٍ ، ولكنى أضعُ حيثُ أمِرْتُ .

أيها الناس :

إنه قد كان قبلى وُلاةٌ تجترّون مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظُلْمهم عنكم ، ألا لا طاعة لمخلوقٍ فى معصية الخالق ، من أطاع الله وجبتْ طاعتهُ ، ومن عصى الله فلا طاعةَ له ، أطيعونى ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عصيت الله ، فلا طاعة لى عليكم ، أقولُ قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم » .

حكمة صادقة

إن شئت أن تصير من الأولياء الصالحين فَحوّل خُلُقك إلى بعض خُلُق الأطفال ، ففيهم خمس خصالٍ لو كانت فى الكبار لكانوا أولياء .

« لا يهتمون للرزق ، ويأكلون الطعام مجتمعين ، ولا يشكُون من خالقهم إذا مرضُوا ، وإذا تخاصموا سارعوا إلى الصُّلح ، وإذا خافوا جَرَتْ عيونَهم بالدموع » .

تربية الأبناء أمانة

اعلمْ أن الصبى أمانةٌ عند والديه ، وقلبُهُ جوهرةٌ ساذجةٌ ، وهى قابلةٌ لكل نقشٍ فإن عُوِّدَ الخير نشأ عليه ، وشاركهُ أبواهُ ومؤدِّبُهُ فى ثوابه ، وأن عُوِّدَ الشَّر نشأ عليه ، وكان الوِزْرُ - الإثم - فى عُنق وَلِيِّه ، فينبغى أن يُراقبهُ من أول عُمره ، فلا يستعمل فى رِضَاعه وحضانته إلا امرأةً صالحةً ، فإذا بَدَتْ فيه مخايِلُ التمييز وأوَّلُها الحياء ، وذلكَ علامةَ النجابة - أى الكرامة - وهى مُبشرةٌ بكمالِ العقل عند البلوغ .

[مختصر منهاج القاصدين بتصرف - ١٧٣] .

دعاء مأثور

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبيينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم ياحنّان يا منان يا بديع السماوات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، نسألك بعزتك التي لا تُرام ، وبِملُكك الذي لا يُضام ، وبقدرتك التي قدرْتَ بها على خلقك ، وبنورك الذي ملأَ أركان عرشك ، نعوذ بك من شرّ خلقك كلهم جميعاً أن يفرُط علينا أحدٌ أو يطغى ، عزَّ جارُك وجل ثناؤك ولا إله غيرك سبحانك إنا كنا من الظالمين ، فاغفر لنا وارحمنا وتوفّنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، ومتّعنا بالنظر إلى وجهك الكريم من غير ضراء مُضرّةٍ ولا فتنةٍ مُضلّة .

اللهم استُرْ عوراتنا ، وآمِنْ روْعاتنا ، وآمنّا فى أوطاننا ، وكُفّ أيدى الظالمين عنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ونسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ما علمنا منه وما لم نعلمْ ، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ، فلا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبْلَغَ علْمنا وانصرنا على من ظلمنا ، وامكُرْ لنا ولا تمكُرْ علينا وأكرمْنا ولا تُهنّا وأَصلح شأننا كلّهُ .

اللهم أصلح ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التى فى معاشنا ، وآخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادةً لنا فى كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، اللهم هبْ لنا من أزواجنا وذُرّياتنا قُرّة أعينٍ واجعلنا للمتقين إماماً .

اللهم إنا نسألك العفْو والعافيةَ ، والأمن والإيمان والسلامة والإسلام لديارنا وديار المسلمين أجمعين .

وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين والحمدُ لله رب العالمين .

اتق دعوة المظلوم !!

روى البخارى [1] أن أهـل الكوفة شكَوْا سعـد بن أبى وقاص إلى عمر رضى الله عنهما فعزله واستعمل عليهم عماراً ، فشكوْا سعداً حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى ، فأرسل إليه فقال : يا أبا إسحاق ، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى ، قال سعد : أما أنا فوالله إنى كنتُ أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ، ما أخرم عنها ، أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأوليين [2] ، وأخفُّ فى الأخريين . قال : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق . فأرسل معه رجلاً – أو رجالاً – إلى الكوفة ، فسأل عنه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ، ويثنون عليه معروفاً ، حتى دخل مسجداً لبنى عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة ، يكنى أبا سعدة ، قال : أما إذا نشدتنا ، فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يعدل فى القضية ، قال سعد: وأنا والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً ، قام رياءً وسمعة ، فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن . وكان الرجل إذا سئل بعد يقول :

شيخ كبير ، مفتون ، أصابتنى دعوة سعد !! .

---

(١) أخرجه البخارى رقم « ٧٥٥ » كتاب الأذان .

(٢) أركد فى الأوليين . أطيل فيهما القراءة .

قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد ، قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر ، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطرق يغمزهن !! .

فإياك أيها العبد أن تتعرض لعباد الله الصالحين ، فإنهم فى حفظ الله وكنفه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [1] ، وإذا دافع الله عن أحد فهل لمخلوق قِبَلٌ بإنزال الهزيمة بساحته ؟! كلا ولو اجتمع على ذلك الأولون والآخرون ، إذن فلماذا تقف فى موقف المواجهة مع رب السماوات والأرض ؟ ، أما علمت أن الله يقول فى الحديث القدسى : « **من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب** » [2] .

يا مسكين! أتريد أن تدخل فى حرب مع خالقك؟ أين قوتُك؟ أين جنودُك؟ أين سلاحُك ؟ أين حصونُك؟ أين أرضُك ؟ أين سماؤك ؟ أفق من سكرتك ، وعد إلى رشدك ، وأعرف من أنت ، وكيف بدأت وإلى أى شيء تنتهى .

نادي القصور التى أقوَت معالمها ... أين الجسومُ التى طابت مطاعمها
أين الملوكُ وأبناء الملوك ومن ... ألهاه ناضرُ دنياه وناعمها
أين الأسود التى كانت تحاذرها ... أسدُ العرين ومن خوفٍ تسالمها
أين الجيوش التى كانت لو اعترضت ... لها العُقاب لخانتها قوادمُها
أين الذين لهوا عما له خُلقوا ... كما لهت فى مراعيها سوائمها
أين البيوت التى من عسجدٍ نُسجت ... هل الدنانيرُ أغنت أم دراهمها ؟
أين الأسرَّةُ تعلوها ضراغمها ... هل الأسرةُ أغنت أم ضراغمها ؟
أين العبيدُ التى نامت فما انتبهت ... واهاً لها نومةً ما هبَّ نائمها [3]

---

(١) سورة الحج الآية « ٣٨ » .
(٢) البخارى رقم « ٦٥٠٢ » كتاب الرقاق .
(٢) التبصرة « ١/ ٩٠ ، ٩١ » .

الرضا بالمصائب [1]

قال أبو عبد الله المنبجي الحنبلي - رحمه الله - أعلم - رحمك الله - أن الرضا بالمصائب أشق على النفوس من الصبر ، وقد تقدم أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس ، وفي جامع الترمذي أن النبي ﷺ قال : « **إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط له السخط** » [2] .

قال عمر بن عبد العزيز : أما الرضا فمنزلة عزيزة ، ولكن قد جعل الله في الصبر مُعَوَّلاً حسناً .

وقال ابن زيد: نظر عليّ بن أبي طالب- رضي الله عنه - إلى عديّ بن حاتم كئيباً. فقال : يا عديّ مالي أراك كئيباً ؟ قال : وما يمنعني وقد قُتل أبنائي وفقئت عيني ، فقال : يا عدي : من رضي بقضاء الله كان له أجر ، ومن لم يرض بقضاء الله حبط عمله .

وقيل لبعض الصالحين : قتل ولدك في سبيل الله ! فقيل له : أتبكي وقد استشهد ؟ فقال : إنما أبكي كيف كان رضاه عن الله عز وجل حين أخذته السيوف !! .

قال الإمام المنجي : وقد تقدم ما سنه رسول الله ﷺ لأهلِ المصيبة وما نهى عنه ، ومما سَّنه : الخشوع والبكاء الذي لا صوت معه ، وحُزْن القلب ، وكان يفعل ذلك ويقول : « **تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب** » [3] ، وكذلك الحمد والاسترجاع .

---

(١) مختصر من « تسلية أهل المصائب » ص « ٢٠٨ - ٢١٩ » .
(٢) أخرجه الترمذي رقم « ٢٣٩٨ » كتاب الزهد وابن ماجه رقم « ٤٠٢١ » كتاب الفتن ، وقال الترمذي : حديث حسن .
(٣) أخرجه البخاري رقم «١٣٠٣» كتاب الجنائز ، ومسلم رقم «٦٢»كتاب الفضائل من حديث أنس.

ومن سنته ﷺ : الرضا عن الله في المصيبة وغيرها ، ولم يكن منافياً لدمع لاعين وحزن القلب ، وأشد الناس حرصاً على رضى مولاهم الأنبياء ، ومع ذلك بكى النبي ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم - عليه السلام - رأفة ورحمة منه للولد ورقة عليه ، وقلبه ﷺ ممتلئ بالرضا عن الله تعالى وشكره له ، واللسان مشتغل بحمده وذكره .

وروى أن بعض العارفين من السلف جعل يضحك يوم مات ولده ، فقيل له : تضحك في مثل هذه الحال ؟ فقال : إن الله تعالى قضى بقضاء ، فأحببت أن أرضي بقضائه . فأشكل هذا على جماعة من العلماء وأرباب والتصوف وقالوا : كيف يبكي رسول ربِّ العالمين ﷺ يوم مات ولده ، وهو أرضى الخلق عن الله ، ويبلغ الرضا بهذا العارف إلى أن ضحك يوم مات ولده ؟ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : هَدْيُ نبينا ﷺ أكمل من هدى هذا العارف ، فإنه ﷺ أعطى العبودية حقها ، فاتسع قلبه للرضا عن الله ، ورحمة الولد والرقة عليه ، فحمد الله ورضى عنه في قضائه ، وبكى رحمة ورقة ، فحملته الرحمة على البكاء ، وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد ، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين ، ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما ، فشغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرقة . انتهى .

ومما يؤيد ما ذكره الشيخ -رحمه الله - قصة نبي الله يعقوب ، إذا حكى الله تعالى عنه أنه ابيضت عيناه من الحزن وقال : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢) ، فطريقة يعقوب - عليه السلام - أفضل من طريقة هذا العارف ، مع كثرة أولاد يعقوب ، وأما هذا العارف على ما قيل : لم يكن له ولد سواه .

---

(١) سورة يوسف الآية « ٨٣ »

(٢) سورة يوسف الآية « ٨٦ » .

حُسن الخلق

١ - الأخلاق منائح :

قال طاووس : إن هذه الأخلاق منائح يمنحها الله عز وجل من يشاء من عباده ، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً منحه خلقاً صالحاً [١] .

٢ - سوء الخُلق عذاب :

عن الحسن أنه قال : من ساء خلقه عذّب نفسه [٢] .

٣ - بحسن الخلق تنال الدرجات :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال : إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ، ويبلغ بسوء خلقه أسفل دركٍ في جهنم وهو عابد !! [٣] .

٤ - مكارم الأخلاق تحتاج إلى مجاهدة :

عن سعيد بن العاص قال : يا بنيّ ! إن المكارم لو كانت سهلة يسيرة لسابقكم إليها اللئام ، ولكنها كريهة مُرّة لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها ورجا ثوابها [٤] .

٥ - الرزق في حُسن الخلق :

قال يحيى بن معاذ : في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق [٥] .

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا رقم « ٣٢ » .
(٢) الإحياء للغزالي « ٥٢/٣ » .
(٣) الإحياء للغزالي « ٥٢/٣ » .
(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا رقم « ٥٢ »
(٥) الإحياء للغزالي « ٥٢/٣ » .

٦ – رأى للفضيل :

قال الفضيل : لأن يصحبني فاجر حسن الخُلق ، أحب إليّ من أن يصحبني عابد سيء الخلق !! [(١)] .

٧ – ابن المبارك يبكي رجلاً لسوء خلقه :

وصحب ابن المبارك رجلاً سيء الخلق في سفره ، فكان يحتمل منه ويداريه ، فلما فارقه بكى ، فقيل له في ذلك فقال : بكيته رحمة له ، فارقته وخلقه معه لم يفارقه !! [(٢)] .

٨ – سبيل النبل :

قال أيوب السختياني : لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان : العفة عما في أيدي الناس ، والتجاوز عما يكون منهم [(٣)] .

٩ – صفة حُسن الخلق عند الإمام أحمد :

ذكر الإمام البيهقي في شعب الإيمان [(٤)] كلاماً ذهبياً لإمام أهل السُّنة أحمد بن حنبل قال فيه : « ومعنى حُسن الخُلق : سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى ، وقد يكون فيما بين الناس .

وهو في ذات الله – عز وجل – أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله ونواهيه ، يفعل ما فرض عليه ، طيب النفس به ، سلساً نحوه ، وينتهي عما حُرم عليه ، واسعاً به صدره ، غير متضجّر منه ، ويرغب في نوافل الخير ،

---

(١) الإحياء للغزالي « ٥٢/٣ » .
(٢) الإحياء « ٥٢/٣ » .
(٣) مكارم الأخلاق رقم « ٤٢ » .
(٤) شعب الإيمان للبيهقي « ١٣١/١٤ ، ١٣٢ » .

ويترك كثيراً من المباح لوجه الله تعالى ، إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية .

وهو فى المعاملات بين الناس أن يكون سمحاً بحقوقه لا يطالب غيره بها ، ويوفى ما يجب لغيره عليها منها ، فإن مرض فلم يُعَد ، أو قدم من سفر فلم يُزَر ، أو سلّم فلم يُردّ عليها ، أو دخل على قوم فلم يمكّن ، أو تكلم فلم ينصت له ، أو استأذن على صديق فلم يؤذن له ، أو خطب فلم يزوّج ، أو استمهل لدين فلم يُمهل ، أو استنقص فلم ينقص ، وما أشبه ذلك ... لم يغضب ولم يعاقب ، ولم يتنكر من حاله ، ولم يستشعر فى نفسه أنه قد جُفي وأُوحش ، وأنه يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله ، بل يضمر أنه لا يعتد بشيء من ذلك ، ويقابل كلاً منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب إلى البر والتقوى وأشبه بما يحمد ويرضى ، ثم يكون فى إيفاء ما يكون عليه كهو فى حظّ ما يكون له ، فإذا مرض أخوه المسلم عاده ، وإن جاءه فى شفاعة شفّعه ، وإن استمهله فى قضاء دين أمهله ، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه ، وإن استسمحه فى بيع سمح له ، ولا ينظر إلى أن الذى يعامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا أو كيف يعامل الناس ، إنما يتخذ الأحسن إماماً لنفسه ، فينحو نحوه ولا يخالفه .

أخى فى الله :

أعد قراءة هذا النص مرة ثانية وثالثة ورابعة ، ثم قل لى بربك : أين نحن من هذه الصفات التى ذكرها الإمام أحمد ؟ .

إن من تأمل هذا النص الذى نقله البيهقى عن إمام أهل السُنة وجد أننا جميعاً - إلا من رحم ربى - بعيدون عن حُسن الخلق بعد المشرقين ، فلا صفح ولا عفو ، ولا وفاء بالوعد ، ولا كظم للغيظ ، ولا قضاء للحقوق ،

وإنما تناحر وتباغض ، وتدابر وتحاسد ، وتقاطع وتهاجر .

فأى أمة نحن ؟! أنحن خير أمة أُخرجت للناس ؟ أنحن أُمة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ؟ أنحن الأمة التى ستشهد على الأمم يوم القيامة ؟ ، اللهم غفرانك .

إننا جميعاً بحاجة إلى مراجعة لأنفسنا والنظر فى العواقب وتقديم مصالح الدين على مصالح النفس وحظوظها ، والأخذ بمعالى الأمور وترك سفاسفها ، حتى تنطلق سفينة الإيمان تحمل ميراث النبوة ، تشق به أمواج الظلم والجهل والضلال ، باعثة بالنور والهداية إلى ربوع كون الله الفسيح .

إيــاك والغــرور !!

قال ابن الجوزى : ولقد تاب على يدى فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف ، وأسلم على عيدي أكثر من مائتى نفس ، وكم سالت عين متجبر بوعظى لم تكن تسيل .

ويحق لمن تلمّح هذا الإنعام أن يرجو التمام ، وربما لاحت أسباب الخوف بنظرى إلى تقصيرى وزللي ، ولقد جلست يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رقّ قلبه أو دمعت عينه ، فقلت لنفسى : كيف بك إذا نَجَوا وهلكت ؟! .

فصحت بلسان وجدى :

إلهي وسيدي ! ، إن قضيت عليّ بالعذاب غداً ، فلا تُعلمهم بعذابي صيانةً لكرمك لا لأجلى ، لا يقولوا : عذّب من دلّ عليه !! .

إلهي ! قد قيل لنبيك ﷺ اقتل ابن أُبيّ المنافق فقال : « **لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه** » [(١)] .

إلهي ! فاحفظ حسن عقائدهم فيّ بكرمك أن تعلمهم بعذاب الدليل عليك ، حاشك والله يارب من تكدير الصافي .

لا تبــر عــوداً أنت ريّشــتــه ... حاشا لبانى الجود أن ينقضا
لا تُعطش الزرع الذى نبــتّــه ... بصوب إنعامك قد روّضا [(٢)]

---

(١) أخرجه البخارى رقم « ٤٩٠٥ » كتاب التفسير ، ومسلم رقم « ٢٥٨٤ » كتاب البر والصلة .
(٢) صيد الخاطر « ٢١٧ » .

فتنة الموت وثبات العلماء [1]

قال عبد الله بن الإمام أحمد : حضرتُ وفاة أبي ، فكان يغرق ثم يفيق ويقول : لا بعد ، لا بعد ، فعل هذا مراراً ، فقلت له : يا أبت ! أيُّ شيء يبدو منك ؟ قال : الشيطان قائم بحذائي عاضّ على أنامله يقول : فُتّني يا أحمد . وأنا أقول : لا بعد حتى أموت .

وحكى القرطبي في التذكرة عن شيخ شيخه أحمد بن محمد القرطبي أنه احتضر فقيل له : قل لا إله إلا الله ، فكان يقول : لا ، فلما أفاق ذكرنا له ذلك فقال : أتاني شيطانان عن يميني وعن يساري ، يقول أحدهما : متْ يهودياً فإنه خير الأديان ، والآخر يقول : متْ نصرانياً فإنه خير الأديان . فكنت أقول لهم : لا . لا . أنّى تقولان هذا ؟ فكان الجواب لهما لا لكما .

وكان سفيان الثوري يقول : أخاف أن أُفتتن عند الموت ، يشتد الأمر عليّ ، فلا أُعطي فأُفتتن .

قال ابن مفلح الحنبلي : ونعم ما قال ، فإن عوارض الفتن هناك كثيرة لا تحصى ، فربما وجد تشوّقاً إلى الدنيا ، وانزعج لفراق محبوب ، أو ضعف عن حمل البلاء ، أو عرض للفتن ، فمال الإنسان عن التوحيد أو أعرض عن المالك .

فالله الله إذا نزل بك الموت ، فلا يكون لك همّ إلا في تهذيب الاعتقاد ، والاستغفار من الذنوب ، والتوبة من الخطايا ، لعلك تلقاه نظيفاً .

---

(١) مصائب الإنسان » ص ١٩٧ – ٢٠٠ » .

وقد كان الجنيد يقرأ إلى أن مات . فقيل له : أرفقْ بنفسك ، فقال : الآن تطوى صحيفتي !! .

وتوفى شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يقرأ عند الموت : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١) .

قال شبط بن الجوزى : كان آخر ما تكلم به الشيخ أبو عمرو- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وقال أبو بكر بن عياش : دخلت على عاصم وقد احتضر ، فجعلت أسمعه يردد هذه الآية ، كأنه في المحراب : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٣) .

ومرض أبو قلابة بالشام ، فأتاه عمر بن عبد العزيز يعوده ، فقال : يا أبا قلابة ! تشدّد ولا تُشمت بنا المنافقين .

فاللهم لا تشمت بنا المنافقين ، وأعذنا من أن يتخبطنا الشيطان عند الموت ... أمين .

وكان السلف يرون أن من مات عقيب عمل صالح كصيام رمضان أو عقيب حج أو عمرة أنه يرجى أن يدخل الجنة ، وكانوا مع اجتهادهم فى الصحة فى الأعمال الصالحة يجددون التوبة ، والاستغفار عند الموت ، ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد (٤) .

---

(١) سورة القمر الآيات « ٥٤ ، ٥٥ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ١٣٢ » .
(٣) سورة الأنعام الآية « ٦٢ » .
(٤) لطائف المعارف ص « ٥٨٦ ، ٥٨٧ » .

ولما احتضر العلاء بن زياد بكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : كنت والله أحب أن أستقبل الموت بتوبة ، قالوا : فافعل رحمك الله فدعا بطهور فتطهّر ، ثم دعا بثوب له جديد فلبسه ، ثم استقبل القبلة ، فأومأ برأسه مرتين أو نحو ذلك ، ثم اضطجع ومات (١) .

ولما احتضر عامر بن عبد الله بكى ، وقال : لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون ، اللهم إنى أستغفرك من تقصيرى وتفريطى ، وأتوب إليك من جميع ذنوبى ، لا إلهَ إلا الله ، ثم لم يزل يرددها حتى مات رحمه الله (٢)

وقال عمرو بن العاص رحمه الله عند موته : اللهم أُمرتنا فعصينا ، ونهيتنا فركبنا ، ولا يسعنا إلى عفوك ، لا إله إلا الله ، ثم رددها حتى مات (٣) .

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - عند موته : أجلسونى ، فأجلسوه فقال : أنا الذى أمرتنى فقصّرت ، ونهيتنى فعصيت ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر ، فقالوا له : إنك تنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين ، قال : إنى أرى حضرة ما هم بإنس ولا جنّ ، ثم قبض - رحمه الله - وسمعوا تالياً يتلوا : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ (٤) . (٥) .

(١ - ٤) لطائف المعارف ص « ٥٨٦ - ٥٨٧ » .
(٥) سورة القصص الآية « ٨٣ » .

أيها الشيخ الكبير [(١)]

موعظة :

يا من بلغ من العمر الخمسين أو الستين أو السبعين ، ماذا تنتظر ؟ هل بقى من عمرك مثل ما مضى ؟ وماذا عما مضى من عمرك ؟ أما ذهبت لذاته وبقى عليك تبعاته ؟ وكأنه لم يكن إذا جاء الموت وميقاته ؟ قال الله عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) ﴾ [(٢)] ، تلا بعض السلف هذه الآية وبكى ، ثم قال : إذا جاء الموت لم يُغْنِ عن المرء ما كان فيه من اللذة والنعيم .

أنشد أبو العتاهية هارون الرشيد حين بنى قصره الشاهق فقال له مذكراً :

عش مـــا بدا لك ســالماً ... فى ظل شـاهقـة القـصـور

يسـعى عليك بما اشتـهـيـ ... ـت مع الرواح وفى البكور

فـإذا النفـوس تقـعـقـعـت ... فى ضـيق حشـرجة الصـدور

فـهـنـاك تعلم مـوقـنـاً ... مـا كنت إلا فى غـرور

وفى صحيح البخارى عن النبى ﷺ قال : « **أعذر الله إلى من بلّغه ستين سنة** » [(٣)] .

وفى الترمذى : « **أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم**

---

(١) انظر لطائف المعارف ص « ٥٢٠ - ٥٢٤ » بتصرف .
(٢) سورة الشعراء الآيات « ٢٠٥ - ٢٠٧ » .
(٣) أخرجه البخارى رقم « ٦٤١٩ » كتاب الرقاق .

من يجوز ذلك » [1] .

لهفي على خمسين عاماً قد مضت　　كـانـت أمـامي ثم خلّفـتـهـا
لو كـان عـمـرى مـائة هدّنى　　تذكـرى أنى تنصّـفـتـهـا

قال مسروق : إذا أتتك الأربعون فخذ حذرك .

وقال النخعى : كان يقال لصاحب الأربعين : احتفظ بنفسك .

وكان كثير من السلف إذا بلغ الأربعين تفرّغ للعبادة .

وقال عمر بن عبد العزيز : تمّت حُجّة الله على ابن الأربعين .

ورأى فى منامه قائلاً يقول له :

إذا مـا أتتك الأربعـون فـعندها　　فاخش الإله وكن للموت حذّاراً

فيا أبناء العشرين ! كم مات من أقرانكم وتخلفتم ؟ .

ويا أبناء الثلاثين ! أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم .

ويا أبناء الأربعين ! ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم .

ويا أبناء الخمسين ! تنصّفتم المئة وما أنصفتم .

ويا أبناء الستين ! أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم ، أتلهون وتلعبون ؟ لقد أسرفتم .

قال الفضيل لرجل : كم أتى عليك ؟ قال : ستون سنة .

قال له : أنت منذ ستين سنة تسير إلى ربّك ، يوشك أن تصل !! .

يا من يفرح بكثرة مرور السنين عليه ، إنما تفرح بنقص عمرك .

---

(١) أخرجه الترمذى رقم « ٢٣٣١ » فى الزهد ورقم « ٣٥٥٠ » فى الدعوات ، وابن ماجة رقم « ٤٢٣٦ » فى الزهد .

قال أبو الدرداء والحسن : إنما أنت أيامٌ ، كلما مضى منك يوم مضى بعضك !! .

إنا لنفرح بالأيام نقطعُها ... وكل يوم مضى يدنى من الأجلِ
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً ... فإنما الربح والخسران فى العمل

يا من كلما طال عمره زاد ذنبه ، يا من كلما ابيضّ شعره بمرور الأيام أسْودّ بالآثام قلبه ..

شيخ كبير له ذنوب ... تعجز عن حملها المطايا
قد بيضت شعره الليالى ... وسوّدت قلبه الخطايا

قال وهب بن منبه : قرأت في التوراة : إن لله منادياً ينادى كلّ ليلة :

يا أبناء الأربعين ! زرعٌ قد دنا حصاده .

يا أبناء الخمسين ! هلموا إلى الحساب ماذا قدمتم وماذا أخرتم ؟ .

يا أبناء الستين ! لا عذر لكم .

يا أبناء السبعين ! عدوا أنفسكم من الموتى!! .

أعينيّ هل تبكيان على عمرى ؟ ... تناثر عمرى من يدىّ ولا أدرى !!
إذا كنت قد جاوزت ستين حجة ... ولم أتأهت للمعاد فى عذري [(١)]

اللهم أيقظ قلوبنا من سنة الغفلة ، وأطرد عنا طول الأمل وحب الدنيا ، وارزقنا القناعة منهما باليسير ياربّ العالمين .

آمين يارب العالمين ...

---

(١) الزهد الكبير للبيهقى ص « ٢٤١ - ٢٤٢ » .

أدب العشرة والصحبة [1]

سأل أبو الحسن الورّاق أبا عثمان عن الصحبة ، فقال : هى مع الله بالأدب ، ومع الرسول ﷺ بملازمة العلم واتباع السُّنة ، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة ، ومع الإخوان بالبشر والانبساط ، وترك وجوه الانكار عليهم ، ما لم يكن خَرْقَ شريعة ، أو هتك حرمة ، قال الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [2] ، والصحبة مع الجهّال بالنظر إليهم بعين الرحمة ، ورؤية نعمة الله عليك إذ لم يجعلك مثلهم ، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل .

وقال حمدون القصّار : اقبلوا إخوانكم بالإيمان ، وردّوهم بالكفر ، فإن الله سبحانه وتعالى أوقع ما بين هذين في مشيئته ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [3] .

وسئل أبو عثمان الحيري عن صحبة السلامة فقال : أن يوسّع الأخ على أخيه من ماله ، ولا يطمع فيما له ، وينصفه ، ولا يطلب الإنصاف منه ، ويستكثر قليل برّه ، منّاً منّ به عليه !! .

قال يحيى بن معاذ الرازى : الدنيا بأجمعها لا تساوى غمّ ساعة ، فكيف بغمّ طول عمرك ، وقطع إخوانك بسببها ، مع قلّة نصيبك منها !! .

---

(١) آداب العشرة لأبي البركات بدر الدين محمد الغزى .
(٢) سورة الأعراف الآية « ١٩٩ » .
(٣) سورة النساء الآية « ١١٦ » .

ومن آداب العشرة والصحبة : قبول أعذار الإخوان ، والذبّ عنهم ، والانتصاب لهم ، كما قال الجنيد - رحمه الله - وقد قيل له : ما بال أصحابك أكْلُهم كثير ؟ قال : لأنهم لا يشربون الخمر ، فيكون جوعهم أكثر !! فقيل له : ما بالهم لهم قوة شهوة ؟ .

قال : لأنهم لا يزنون ، ولا يدخلون تحت محظور !! فقيل له : فما بالهم لا يطربون إذا سمعوا القرآن ؟ قال : لأنه كلام الحق ، ما فيه ما يوجب الطرب نزل بأمر ونهى ، ووعد ووعيد ، فهو يقهر .

ومن آداب الصحبة : تركُ المنّ على من تُحسن إليه . قال عروة : كتب رجلٌ إلى عبد الله بن جعفر رقعة ، وجعلها فى داخل وسادته التى يتكىء عليها ، فقلب عبد الله الوسادة ، فبصر بالرقعة ، فقرأها وردّها إلى موضعها ، وجعل معها كيساً فيه خمسمائة دينار ، فجاء الرجل ، فدخل عليه ، فقال له : قَلّبتَ النّمرقة ؛ فخذ ما تحتها ، فأخذ الرجل الكيس ، وخر وهو ينشد :

زاد معروفك عندى عظماً … أنه عندك مستورٌ حقير

تتناساه كأن لم تأته … وهو عند الناس مشهورٌ كبير !!

ومن آداب الصحبة : الحرص على الإخوان وتقديمهم .

قال أبو زائد : كتب الأحنف إلى صديق له : أما بعد ، فإذا قدم أخٌ لك موافق ، فليكن منك بمنزلة السمع والبصر ، فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف ، ألم تسمع قول الله عز وجل لنوح - عليه السلام - فى ابنه :

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [1] .

(١) سورة هود الآية « ٤٦ » .

ومن جوامع الصحبة والعشرة : قول يحيى بن أكثم : لمّا حضرتْ علقمة العطار الوفاة قال لابنه : يا بنيَّ إذا صحبت الرجال ، فاصحب من إذا أخْدمته صانك ، وإن صحبته زانك ، وإن تحرّكت بك مؤنةٌ صانك ، وإن أمْدَدت بخير مدَّ ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، أو سيئة سترها ، وإن أمسكت ابتدأك ، وإن نزل بك نازلة واساك ، وإن قلت صدّقك ، أو حاولت أمراً أمّرك ، وإن تنازعتما في حقٍّ آثرك .

قال عبد الملك : سمع الشعبيُّ هذه الوصية ، فقال : تدري لم أوصاه بها ؟ فقلت : لا ! قال : لأنه أوصاه ألا يصحب أحداً !! لأن هذه الخصال لم تكمُل في أحدٍ .

أداب الجوارح مع الإخوان :

قال أبو البركات الغزّي : ثم على كلّ جارحة أدب تختصّ به :

١ – فأدبُ البصر : نظرك للأخ بالمودة التي يعرفها منك هو والحاضرون ، ناظراً إلى أحسن شيء يبدو منه ، غير صارف بصرك في حديثه لك .

٢ – وأدبُ السّمع : إظهار التلذّذ بحديث محادثك ، غير صارفٍ بصرك عنه في حديثه ، ولا قاطع له بشيء، فإن اضطرك الوقت إلى شيء من ذلك، فأظهر له عذرك .

٣ – وأدبُ اللسان : أن تحدّث الإخوان بما يحبون في وقت نشاطهم لسماع ذلك ، باذلاً لهم النصيحة بما فيه صلاحهم ، مسقطاً من كلامهك ما يكرهونه ، ولا ترفع صوتك عليهم ، ولا تخاطبهم إلا بما يفهمونه ويعلمونه .

٤ – وأدبُ اليدين : بسطهما للإخوان بالبّر والصلة ، ولا تقبضهما عنهم ، ولا عن الإفضال عليهم ، ومعونتهم فيما يستعينون به .

٥ – وأدبُ الرِّجلين : أن تماشي إخوانك على حدّ التبع ، ولا تتقدّمهم ، فإن قربك أحد إليه ، تقربْ بقدر الحاجة ، وترجعْ إلى مكانك ، ولا تقعد عن حقوق الآخرين ، ثقةً بالأخوة ، لأن الفضل رحمه الله قال : « تَرْك حقوقهم مذلّة » .

أخبار أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه (١)

قال أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – ذكر أخلاق الورعين فقال : أسأل الله ألا يمقتنا ، أين نحن من هؤلاء ؟! .

قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : أنا فرحٌ إذا لم يكن عندى شيء .

وقال : ما أعدلُ بالفقر شيئاً !! .

وذُكر لأبى عبد الله الفضيل وعُرْيه ، وفتح الموصلى وعريه وصبره ، فتغرغرت عينه وقال : رحمهم الله . كان يقال : عن ذكر الصالحين تنزل الرحمة .

وذكر بشر بن الحارث فقال : رحمه الله ، لقد كان له أُنس ، وذكر له شيئاً فى الورع .

وقال لى أبو عبد الله ونحن بالمعسكر : ألا تعجب ! كان قوتى فيما مضى أربعة أرغفة ، أو نحواً من أربعة أرغفة ، وقد ذهب عنى شهوة الطعام فيما

(١) كتاب الرقّة للإمام ابن قدامة المقدسى ص « ١٨٨ » .

أشتهيه ، وقد كنت فى السجن آكل ، أخاف أن أفتن بالدنيا ، لقد تفكرت بالبارحة فقلت : هاتان محنتان : امتحنتُ بالدين ، وهذه محنة الدنيا .

قال : وكان سويق ، فربما شربه ، وربما ترك بعضه ، فمكث نحواً من خمسة عشر يوماً أو أربعة عشر يوماً ، لم يطعم إلا أقل من أربعين سويقاً .

وكان إذا ورد عليه أمر نعمة لم يفطر ، وواصل الأشربة من ماء ، وجعل يضعف من الجوع والوصال ، حتى كنت لأبلّ الخرقة ، فألقيها على وجهه ، فترجع إلى نفسه .

ثم كُلّم أبو عبد الله فى أمره وفى الحمل على نفسه بالصوم ، فقيل له : لو أمرت بقدرٍ فيطبخ لك ؟ لترجع إليك نفسك وتقوى على الصلاة ، فقال : الطّبخُ طعاما لمطمئنين ! .

وقال لى أبو عبد الله يوماً : إنى لأخرج إذا لم يكن عندى شىء .

وجاء ابنه الصغير ، فطلب منه فقال : ليس عند أبيك قطعة ، ولا عندى شىء .

واستعمل لأبى عبد الله خفّ ، فجئتهُ به ، فبات عنده ، فلما أصبح قال لى : قد تفكرتُ فى أمر هذا الخفّ ، وقد شغل عليّ قلبي ، وقد عزم لي ألا ألبسه ، كم ترى بقى ؟ الذى مضى أكثر مما بقى ، فدفع إليّ خفاً له خلقاً ، فقال : اضرب على هذا الموضوع رقاعاً ، وسدّد خروقه ، ثم قال : تدرى منذ كم هذا الخفّ عندي ؟ نحواً من ستة عشر سنة ، وإنما صار إليّ وهو لبيس !!.

قلتُ لأبى عبد الله : إن بعض المحدثين قال لى : أبو عبد الله لم يزهد فى الدراهم وحدها ، قد زهد فى الناس ، فقال أبو عبد الله : ومن أنا حتى أزهد فى الناس ، الناس يريدون يزهدون فيّ .

أسأل الله أن يجعلنا خيراً مما يظنون ، ويغفر لنا ما لا يعلمون .

قلت لأبى عبد الله : ما أكثر الداعين لك ، فتغرغرت عينه وقال : أخاف أن يكون هذا استدراجاً !! وقال لى : قال محمد بن واسع : لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إليّ منكم أحدا !! .

وقال علي بن أبى حرارة : كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة ، فقالت لى يوماً : اذهب إلى أحمد بن حنبل ، فسله أن يدعو لى ، فصرتُ إليه فدفعت الباب وهو فى دهليز ، فلم يفتح لى ، وقال : من هذا ؟ فقلت : أنا رجل من أهل ذاك الجانب ، سألتنى أمي وهى زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو لها ، قال : فسمعت كلامه ، كلام رجل مغضب . فقال : نحن أحوج إلى أن تدعو لنا !! فوليت منصرفاً ، فخرجت امرأة عجوز من داره فقالت : أنت الذى كلّمت أبا عبد الله ؟ قلت : نعم . قال : قد تركته يدعو لها .

قال : فجئت من فورى إلى البيت ، فقامت على رجليها تمشى حتى فتحت الباب ، وقالت : قد وهب الله لى العافية .

كلمات في الحكمة والمروءة [1]

عن الحارث أن عليّاً سأل الحسن – رضى الله عنهما – عن أمر المروءة فقال : يا بنى : ما السداد ؟ قال : رفع المنكر بالمعروف .

قال : فما الشرف ؟ قال : اصطناع العشيرة وحمل الجريرة ، وموافقة الإخوان ، وحفظ الجيران .

قال : فما المروءة ؟ قال : العفاف وإصلاح المال .

قال : فما الدقة ؟ قال : النظر في اليسير ومنع الحقير .

قال : فما اللؤم ؟ قال : إحراز المرء نفسه وبذاله عرسه .

قال : فما السماحة ؟ قال : البذل من العسير واليسير .

قال : فما الشح ؟ قال : أن ترى ما أنفقته تلفاً .

قال : فما الإخاء ؟ قال : المواساة .

قال فما الجبن ؟ قال : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .

قال : فما الغنيمة ؟ قال : الرغبة في التقوى ، والزهد فى الدنيا .

قال : فما الحلم ؟ قال : كظم الغيظ وملك النفس .

قال : فما الغنى ؟ قال : رضا النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قل ، وإنما الغنى عن النفس .

قال : فما الفقر ؟ قال : شره النفس فى كل شيء .

---

(١) سمير المؤمنات ، سلوى الكندرى ص ١٥٧ .

قال : فما المنعة ؟ قال : الفزع عند المصدوقة .

قال : فما الكلفة ؟ قال : كلامك فيما لا يعنيك .

قال : فما المجد ؟ قال : أن تعطى فى الغرم وتعفو عن المجرم .

قال : فما العقل ؟ قال : حفظ القلب ما استودعته .

قال : فما حسن الثناء ؟ قال : إتيان الجميل وترك القبيح .

قال : فما الحزم ؟ قال : طول الأناة والرفق بالولاة .

قال : فما السفه ؟ قال : الدناءة ومصاحبة الغواة .

قال : فما الغفلة ؟ قلا : تركك حظك وقد عرض عليك .

قال : فما الأحمق ؟ قال : الأحمق فى ماله المتهاون فى عرضه !! .

ثمرة الخوف من الله

أخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لمّا أنزل الله عزّ وجل على نبيه ﷺ هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [1] ، تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه ، فخرّ فتىً مغشيّاً عليه ، فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو يتحرّك ، فقال رسول الله ﷺ : « يا فتى ، قل : لا إله إلا الله » .

فقالها : فبشّره بالجنة ، فقال أصحابه : من يا رسول الله ، أمن بيننا ؟ .

(١) سورة التحريم الآية « ٦ » .

فقال : أو ما سمعتم قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (١) .

[حياة الصحابة – عن الترغيب ٢/٦٨٨] .

الخوف من الله

قال أنس – رضي الله عنه – :

دخلتُ حائطاً – أي بستاناً – فسمعت عمر – رضي الله عنه – يقول وبيني وبينه جدار : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بَخٍ بَخٍ ، لتتقين الله ابن الخطاب أو ليعذّبنك » .

[تاريخ الخلفاء – للإمام السيوطى ص ١٢٩] .

من عجيب شأن رسول الله ﷺ

أخرج عبدُ بن حُميد وابن أبى الدنيا فى « كتاب التفكير » وابن حبّان فى صحيحه ، وابن مردويه ، والأصبهانى فى كتاب « الترغيب والترهيب » وابن عساكر عن عطاء ، قال :

قلت لعائشة – رضى الله عنها – : أخبرينى بأعجب ما رأيت مِنْ رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة إبراهيم الآية « ١٤ » .

قالت : وأيُّ شأنه لم يكن عجباً ؟ إنّه أتانـي ليلةً فدخل معى لحافي ثم قال : « **ذريني أتعبَّد لربّي** » ، فقام فتوضأ ، ثم قام يصلى ، فبكى حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكي ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقلت : يا رسول الله ، وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر ؟

قـال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً ، ولم لا أفعل وقد أنزل الله عليّ هذه الليلة : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) ﴾** »[1] .

اختبار القضاة

قال يحيى بن أكثم يمتحن رجلاً للقضاء :

ما تقول فى رجلين زوّج كلٌّ واحد منهم الآخر أُمّه ، فولد لكلّ واحد من امرأته ولد ، ما قرابة ما بين الولدين ؟ .

فلم يعرفها .

فقال له يحيى : كلٌّ واحدٍ من الوالدين عمٌّ الآخر لأمّه .

[عيون الأخبار ، لابن قتيبة : ١ / ٦٥] .

(١) سورة آل عمران الآية « ١٩٠ » .

قاضي يرد شهادة أمير !!

حُكى عن أبى يوسف – رحمه الله – أنّه شهد عنده أمير من عُظماء جيش أمير المؤمنين هارون الرّشيد ، وكان من أقربائه ، فلم يقبل شهادته ، فشكا إلى هارون ، فقال هارون : لم رددت شهادته ؟ .

قال : لأنّى سمعته يوماً بين يديك يقول : أنا عبد أمير المؤمنين ، فإن كان صادقاً ؛ فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذباً ، فلا شهادة للكذاب .

فقال هارون : إن شهدتُ ؛ فهل تقبل شهادتى ؟ .

قال : لا .

فقال : ولم ؟ .

قال لأنك تتكبّر على الله فلا تخرج إلى الجماعة ، ولا تصلّى مع عامة المسلمين ، وهذا تكبُّر على الله ، ولا يليق بالعبد هذا .

فتاب هارون على ذلك ، واتخذ مسجداً للعامة على بابه ، وكان يخرج إليه عند كلّ صلاة .

[محاسن الإسلام ، للإمام أبى عبد الله البخارى ، ص ١١٣ – ١١٤] .

تسامح الإسلام

روى الإمام أبو يوسف فى كتابه « الخراج » :

أن عمر - رضي الله عنه - مرَّ بباب قومٍ وعليه سائل يسأل ، كان شيخاً ضريراً يبدو عليه أنه ذِمِّيٌّ ، فضرب عمر بعضده وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ .

فقال : يهودىٌّ .

فقال : ما ألجأك إلى ما أرى ؟ .

قال : أسأل الجزية والحاجة والسِّن .

فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، وأعطاه شيئاً مما عنده ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، وقد قال :

انظر هذا وضُرَبَاءَه ، فوالله ما أنصفنا الرجل أن أكلنا شبيبته ، ثم نخذله عند الهرم : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾ (1) .

وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ثم رد عنه الجزية وعن أمثاله .

[الخراج ، لأبى يوسف : ص ١٢٦] .

---

(1) سورة التوبة الآية « ٦٠ » .

العفو عند المقدرة

جاء فى البخارى من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلاً استأذن على عمر- رضي الله عنه - فأذن له ، فقال له :

يا ابن الخطّاب ، والله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر- رضي الله عنه - حتى همّ أن يُوقِع به ، فقال الحرُّ بن قيس :

يا أمير المؤمنين ، إن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ (١) .

وإن هذا من الجاهلين ، فوالله ما جاوزها عمر- رضي الله عنه - حين تلاها عليه ، وكان وقّافاً عند كتاب الله عزّ وجلّ .

[مختصر منهاج القاصدين ، لابن قُدامة : ص ١٨٧] .

ثلاث بهنّ كمال الإيمان

قال لقمان الحكيم :

ثلاث من كُنّ فيه فقد استكمل الإيمان .

من إذا رضي ؛ لم يُخْرجه رضاه إلى الباطل .

وإذا غضب ؛ لم يُخرجه غضبه من الحقّ .

وإذا قدر ؛ لم يتناول ما ليس له .

[عيون الأخبار ، لابن قتيبة : ١ / ٢٩٠] .

---

(١) سورة الأعراف الآية « ١٩٩ » .

تعظيم حديث رسول الله ﷺ

كان الإمام مالك – رحمه الله – إذا أراد أن يحدث ؛ توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرّح لحيته ، وتمكّن في جلوسه بوقارٍ وهيبة ، ثم حدَّث ، فقيل له في ذلك ، فقال :

أحبُّ أن أُعظِّم حديث رسول الله ﷺ ، ولا أحدِّث به إلا متمكّناً على طهارة ، وكان يكره أن يحدِّث على الطريق أوقائماً أو مستعجلاً ، ويقول :

أحبُّ أن أتفهم ما أُحدِّث به عن رسول الله ﷺ .

وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكِبَر سنّه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جُثٌّ رسول الله ﷺ مدفونه .

[وفيات الأعيان ، لابن خلّكان : ١٣٥/٤ – ١٣٦

ونحوه في تذكرة السامع والمتكلّم : ص ٣١] .

صورة عجيبة من تعظيم العلماء

قال الزرنوجي :

كان أستاذنا شيخ الإسلام برهان الدين صاحب الهداية – رحمه الله تعالى – يحكي أن واحداً من كبار أئمّة بُخاري كان يجلس للدّرْس ، وكان يقوم في خلال الدرس أحياناً ، فسألوه عن ذلك ، فقال :

إن ابن أستاذي يلعب مع الصبيان في السكّة ، ويجيء أحياناً إلى باب المسجد ، فإذا رأيته ؛ أقوم له تعظيماً لأستاذي .

[تذكرة السامع والمتكلّم : ص ٩٠] .

موعظة نافعة

عن أبى الدرداء- رضي الله عنه - قال :

تعلّموا الصمت كما تعلّمون الكلام ، فإن الصمت حلم عظيم ، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلّم ، ولا تتكلّم فى شيء لا يعنيك ، ولا تكن مضحاكاً من غير عجب ، ولا مشّاءً إلى غير أرب .

[حياة الصحابة - عن ابن عساكر : ٧٠٤/٢] .

النمام لا يكون صادقاً

يُروى أن سليمان بن عبد الملك قال لرجل :

بلغنى أنك وقعت فيّ ، وقلت : كذا وكذا .

فقال الرجل : ما فعلت .

فقال سليمان : إن الذى أخبرنى صادق .

فقال الرجل : لا يكون النمّام صادقاً .

فقال سليمان : صدقت ، اذهب بسلام .

[مختصر منهاج القاصدين ، لابن قدامة : ص ١٨١] .

من ورع الصديق رضي الله عنه في ترك الحرام

أخرج البخارى عن عائشة – رضى الله عنها – قالت :

كان لأبى بكر غلام يُخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيءٍ ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام :

تدرى ما هذا ؟ .

قال أبو بكر : ما هو ؟ .

قال : كنت تكهّنت لإنسانٍ فى الجاهلية ، وما أُحسن الكهانة ، إلا أنى خدعته ، فلقينى ، فأعطانى هذا الذى أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده ، فقاء كل شىء فى بطنه .

[تاريخ الخلفاء للإمام السيوطى : ص ١٠٠] .

كيف يُستجاب الدعاء

روى عكرمة بن عمّار : حدثّنا الأصفر قال :

قيل لسعد بن أبى وقاص : كيف تُستجاب دعوتُك من بين أصحاب رسول الله ﷺ ؟ .

قال : ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها ومن أين خرجت .

[جامع العلوم والحِكَم ، لابن رجب الحنبليّ : ٢٢٧/١] .



من أحدث مطبوعات دار الإيمان

حقبة من التاريخ	عثمان الخميس
وصف الدنيا فى الكتاب والسنة	خالد رمضان حسن
احذروا فتنتي المسيح الدجال ويأجوج ومأجوج	يسري محمد عبد الله
سلسلة تعليم الكمبيوتر للنشء ١٤/١	أحمد حسن خميس
أخطاء شائعة في تربية الأبناء	سعد كريم الفقي
أختاه هل تريدين السعادة	علي القرني
هكذا علمتنى الحياة	علي القرني
كيف نحل مشاكلنا	سعيد عبد العظيم
هيا بنا نؤمن ساعة	سعيد عبد العظيم
الأتقياء الأخفياء	سعيد عبد العظيم
أخطاء شائعة في البيوع	سعيد عبد العظيم
الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية	سعيد عبد العظيم
كيف تحقق غنى النفس وسعة الرزق	سعيد عبد العظيم
التيسير فى الخطب والوعظ والتذكير	سعيد عبد العظيم
تذليل الصعاب لعلاج الحزن والإكتئاب .	حـ ... ئل
هل النساء ناقصات عقل ودين	حـ ... ئل
صلاة الفجر	محـ ... ـد
صلاة الجمعة	محـ ... ـد
صلاة الضحى	محـ ... ـد
صلاة الاستخارة	محـ ... ـد

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط . مصطفى ... ـدرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ . تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦